في اليوم نفسه ، قالت « اللجنة التنفيذية للحزب الشيوعي الفلسطيني » : « يعيش معكم العمال اليهود ، الذين لم يأتوا لاضطهادكم بل كي يعيشوا معكم ، وهم مستعدون للجهاد بجانبكم ضد هؤلاء الاعداء الماليين من اليهود والعرب والانكليز ... واذا كان اصحاب الاموال يدفعونكم ضد العمال اليهود حتى يأمنوا من تعديكم عليهم ، فهل تبقون على خطأكم هذا ؟ ان هذا العامل اليهودي ، جندي الثورة ، جاء يمد يده الى ايديكم كزميل لكم لمقاومة الماليين الانكليز واليهود والعرب ... نناديكم للجهاد ضد الاغنياء الذين يبيعون البلاد واهاليها للاجانب ، فلتسقط الحراب الانكليزية والفرنسية وليسقط اصحاب الثروات العرب والاجانب ...»(٢٦). ان المدهش في هذا البيان الطويل ليس فقط ذلك التحليل التجريدي ، الخيالي ، لحالة الصراع ولكن ايضا خلوه كليا من كلمة « صهيوني » : الخطر الذي كان يحسه العامل والفلاح العربيان احساسا يوميا ، والذي ربما احسه ، صبيحة اليوم ذاته الذي وزع فيه ذلك المنشور ، ٥٥ شيوعيا « يهوديا » ضربهم الصهاينة في تل ابيب ، وطردوهم نحو يافا .

سيظل الحزب الشيوعي الفلسطيني واقفا على هذا البعد من ارض الواقع حتى ١٩٣٠ حين انعقد مؤتمره السابع اخر ذلك العام ، واعترف في مقرراته انه « اعتمد موقفا اساسيا خاطئا في المسألة القومية الفلسطينية اي في مسالة دور الاقلية القومية اليهودية في فلسطين ازاء الجماهير العربية ، ونتيجة لذلك لم يقم الحزب بنشاط عملي بين الجماهير العربية ، وظل قطاعا انعزاليا يعمل بين العمال اليهود وحدهم ،وهذه العزلة انعكست في موقف الحزب اثناء الثورة العربية عام ١٩٢٩ ، حين انقطع الحزب عن حركة الجماهير »(٢٧). وبالرغم من ان الحزب يكيل الاتهامات للبورجوازية الفلسطينية التي كانت آنذاك في وضع حرج ، وبالرغم من انه يتجه نحو نبذ تكتيكات الجبهات الشعبية والتحالفات بين طبقات الثورة فان وثائق المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الفلسطيني ١٩٣٠ — ١٩٣١ هي من اثمن وادق التحليلات في تاريخ هذا الحزب ،ففيها يكرس الحزب اولوية حل قضية العرب القومية كواجب من اهم واجبات الكفاح الثوري ، وفيها يعترف بان الانقطاع عن حركة الجماهير كان « نتيجة انحراف صهيوني اعاق تعريب الحزب ». وتشكو الوثائق من « مساع انتهازية ... لتجميد تعريب الحزب ». ان المؤتمر السابع يقر هذه الحقيقة البديهية الرئيسية : على الحزب ان يزيد كوادر القوى الثورية القادرة على توجيه نشاط الفلاحين في الطريق الصحيح ، اي كوادر العمال العرب الثوريين ، ولذا فان تعريب الحزب ، اي تحويله الى الحزب الحقيقي للجماهير الكادحة العربية ، هو الشرط الاول والاساسي « لعمل ناجح في الارياف »(٢٨). ولكن الحزب لم يستطع قط ان ينجز مهام التعريب ، ولذلك ظلت الشعارات الثورية الصحيحة التي اقرها المؤتمر بريقا نظريا لا اكثر : « لا دونم واحد للغاصبين الامبرياليين والصهيونيين »، « الاستيلاء الثوري على الارض العائدة للحكومات والمعمرين اليهود الاغنياء والطوائف الصهيونية وكبار الملاكين والمزارعين العرب » ، « عدم الاعتراف بالاتفاقات المتصلة ببيع الارض » ، « النضال ضد الغاصبين الصهيونيين ». ويقرر المؤتمر : « ان حل المسائل الملتهبة كافة ، والتصفية الحقيقية للاضطهاد ممكن فقط بثورة مسلحة تحت قيادة الطبقة العاملة»(٢٩). « ممكن فقط » كانت هذه هي العبارة المهمة .

ان الحزب الشيوعي الفلسطيني لم ينجز مهمة التعريب ، وهكذا تهاوى بنيان المخطط برمته، وظل الميدان مفتوحا امام هيمنة القيادات الاقطاعية — الدينية . ان اسباب ذلك عديدة ، ولكن ربما يكون اهمها هو ان هذا الخط في الحزب الشيوعي كان انعكاسا للموقف المتصلب والثوري الذي اشتهر عن الكومنترن في فترة ١٩٢٨ — ١٩٣٤ . ورغم صغر عددهم ، وعزلهم ، وعدم نجاحهم الكامل في تعريب الحزب ، وفشلهم في الوصول الى الريف ، فقد القى الشيوعيون بكل ثقلهم في معركة ١٩٣٦ ، واخذوا مواقف شجاعة وتعاونوا مع بعض القادة المحليين ، وايدوا المفتي ، وخسروا كثيرا من الشهداء والمعتقلين ، ولكنهم لم يفلحوا في ان يكونوا قوة مؤثرة . ويبدو ان شعار التعريب ضاع في مكان ما بعد ذلك ، اذ تجرؤ الازفستيا في ١٩٤٦/١/٢٢ (اي بعد حوالي عشر سنوات) على تشبيه « نضال اليهود » في فلسطين بالنضال البلشفي قبل ثورة ١٩١٧ .

مهما يكن فان مقررات المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الفلسطيني لم يكشف عنها الا مؤخرا ، وعملية التعريب لم تحدث ، وبالرغم من الدور